قالت وقد ضاقت ذرعاً: أنا لا أفهم شيئاً هل ممكن أن توضح لي ماذا تريد؟ خفض رأسه وهو يقول أريد أن أتزوج مريم يا عمتي قلت: من مريم؟ قال: نعم ابنة عمي مريم، قالت: مريم، قال: نعم مريم وهل سأجد من هي أفضل منها، وهل توافقون على زواجها مني، ترقرقت الدموع في عينيها وقالت: وهل سنجد من هو خير منك يا إبراهيم!! دعني أذهب لأرى مريم ومحموداً وحسناً، وقامت لتخرج فقلت: وأنا لا تريدين رأيي؟ قالت: لا، أنت لا أريد رأيك في هذا الأمر، لأنه صاحبك الروح بالروح ورأيك معروف.

ضحكت وقلت له: مبروك يا إبراهيم، فطأطأ رأسه قائلاً: الله يبارك فيك يا أحمد لكن لنرى رأي الآخرين.

خرجت أمي فنظر إلي وقال: والله لا أدري ماذا أفعل نحن في واد وأمك في واد، ولا أريد أن أغضبها وأخشى أن أورط مريم معي ثم أسجن أو... توقف صامتاً فقلت: أكمل أو ماذا؟ هل تخاف أن تقتل؟ قال سريعاً: لا لا، لكن من يدري ما تخفي لنا الأقدار وما تلد لنا الأيام.

عادت أمي بعد غياب ومحمود وحسن معها وهم يقولون مبروك يا إبراهيم مبروك واستطردت أمي قائلة، لولا أن الدنيا منتصف الليل لزغردت ففرحتي فرحتان لك ولمريم، ولكن غداً إن شاء الله نفعل الواجب والمطلوب ثم نادت: مريم مريم تعالي يا مريم، ولما لم تأت مريم قامت لتحضرها ورجعت وهي تسحبها سحباً ومريم تتلوى حياءً محاولة إخفاء وجهها حتى دخلت الغرفة فدفعتها أمي قائلة: اجلسي بجوار خطيبك ابن عمك، فجلست والحياء يتفجر من وجهها ومن وجهه ولا ينظر أحد للآخر.

فتجرأ إبراهيم سائلاً أمي: هل مريم موافقة أم أنك أرغمتها يا عمتي، فردت أمي: أرغمتها!! ولماذا أرغمها؟ وهل ستجد واحداً أفضل منك؟!! احمر وجهه ثانية وهو يقول: أعوذ بالله وهل سأجد أنا من هي أفضل منها، والله يا عمتي إنني خجلان من أفضالكم عليّ، فردت أمي أفضالنا عليك، يا بني أنت رجل صنعت حياتك بيدك الله يبارك فيك، صمت قليلاً ثم قال: يا عمتي هل مريم موافقة فردت أمي طبعاً طبعاً موافقة، فقال أريد أن أسمع منها ذلك، فقالت أمي: قولي يا مريم هل أنت موافقة فهزت رأسها إيجاباً ثم خرجت وضحكاتنا تلاحقها.